2026 كانون 2 مجلة دراسات في الإنسانيات والعلوم التربوية العدد 12
January 2026 Journal of Studies in Humanities and Educational Sciences No. 12
Print ISSN 3006-3256 Online ISSN 3006-3264

ارباب الحرف والصنائع في ألف ليلة وليلة

أ.م. الاء احمد إبراهيم مصطفى المولى
جامعة الموصل – كلية الاداب - قسم التاريخ

ملخص

تكمن أهمية الموضوع بارتباطه بالحياة اليومية في العصر العباسي والعصور الإسلامية الوسيطة يهدف هذا البحث الى ان يحقق في ثناياه عرضا لفئة اجتماعية مهمة ورد ذكرها في حكايات الف ليلة وليلة وهي أصحاب الحرف والصنائع ولما كان لها من دور مميز في المجتمع آنذاك وتحليل دور هذه المهن في الاقتصاد والنسيج الاجتماعي لمجتمع شهرزاد . المنهجية : دراسة نصية تحليلية لنصوص تتعلق بارباب الحرف والمهن في بعض القصص التي تسردها شهرزاد الى جانب استخدام المنهج التاريخي والاجتماعي لفهم واقع الحرف والمهن التي ذكرتها الحكايات .النتائج المتوقعة : الكشف عن أهمية ودور الحرف والصنائع في تشكيل الهوية الحضرية لمجتمع شهرزاد ومقارنة بين الواقع التاريخي والتصوير الادبي في حكايات شهرزاد .

الكلمات المفتاحية : شهرزاد ، الف ليلة وليلة ، مجتمع ، الحرف ، المهن ، التنوع ، مستوى معيشي

Masters of Crafts and Trades in Arabian Nights

A.P.Alaa Ahmad Ibrahim Almola
ASSISTANT/ PROFESSOR
University of Mosul /collage of Arts
Département of History

Abstract

The importance of this topic lies in its connection to daily life during the Abbasid era and the medieval Islamic period. This research aims to present an important social class mentioned in the tales of One Thousand and One Nights: craftsmen and artisans. It examines their distinctive role in society at that time and analyzes the role of these professions in the economy and social fabric of Scheherazade's society. Methodology: An analytical textual study of texts related to craftsmen and artisans in some of Scheherazade's stories, along with the use of historical and sociological methods to understand the reality of the crafts and professions mentioned in the tales. Expected Results: To reveal the importance and role of crafts and artisans in shaping the urban identity of Scheherazade's society and to compare historical reality with the literary portrayal in Scheherazade's tales.

Keywords: Scheherazade, One Thousand and One Nights, society, crafts, professions, diversity, standard of living

المقدمة :

ومن الجدير بالذكر ان بغداد احتضنت عدة صناعات ومهما يكن من امر فان موضوع البحث هذا يقود الى التفكير في دور ارباب الحرف وأصحاب الصنايع في الشأن الاقتصادي والاجتماعي

يأتي الاهتمام بالصناعة من خلال الآيات القرآنية التي بينت نظرة الإسلام الى العمل بشكل عام والتخصص في العمل والمهن بشكل خاص منها في مدح سيدنا داوود ((عَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ)) الأنبياء - الآية 80

من هنا تعلم الناس ان الصناعات المهنية والحرف اليدوية وان طلب العمل مرضاة لله تعالى بذلك المجتمع اصبح مجتمع الوفرة الاقتصادية والصناعية اثرت هذه المبادئ والقيم الإسلامية في تطور العمل والحرف التي كانت تدل على مدى التطور داخل الدولة ([1])

ومن اجل جلاء الموقف تجاه ارباب الحرف والصنايع نقرب الدعوة الى الاذهان بما قاله أبو الفضل الدمشقي : " واما الصنائع العملية وهي المهن ، فقد قيل قديما : الصناعة في الكف امان من الفقر وامان من الغنى . وذلك ان الصانع بيده لا يكاد كسبه يقصر عن اقامته ما لابد له منه ولايكاد كسبه يتسع لاقتناء ضيعة او عقد نعمة ، وأيضا فانه مع ذلك اذا ميز الناس دخل في ادون طبقاتهم " ([2])

وهنا محوران يجب الالتفات اليهم من هذا القول المقتضب ، هو ان الحرفة والمهنة والصناعة باتت ولازالت متكا يستند عليها الفرد لدفع ناموس الفقر ، والامر الاخر ان أصحاب الحرف والمهن شكلوا طبقة مستقلة من الهرم الاجتماعي . ([3])

التنظيم الحرفي :

Landtman يذكر لانتمان

((الذي يعني تقسيم العمل تعين درجات متفاوتة من المراتب الاجتماعية للجماعات المختلفة من ممارسي العمل فتكون قيمة حرفة ما اعلى من غيرها . ونتيجة لذلك يتمتع من يمارس تلك الحرفة باهتمام كبير .)) ([4])

وهذه الظاهرة تبدا بوضوح في الحاضرة العباسية مصاحبة للتطور وتقدم الحياة المادي والميل نحو التخصص في العمل والصنعة ([5]) .

أدى التطور في الحضارة العربية الإسلامية وظهور الصناعات وتطورها الى وجود نوع من التكتل في العمل بين أصحاب الصنعة الواحدة .

أدى هذا التكتل والتنظيم الى وجود روح الجماعة بين أصحاب الصنائع كل واحد منهم يشعر بصلة تربطه بإخوانهم في الصنعة كان شعارهم " الصناعة نسب " ([6])

واذا ما انتقلنا الى التخصص في العمل فان الفكرة وراء التقسيم الواسع للعمل تبدو من ان كل انتاج منتج يحتاج الى متخصص يصفه ([7]) كما ان التخصص في العمل والمعرفة من مظاهر التقدم في أي مجتمع انساني ، وهذه

([1]) فهد مطر المطيري ، التاريخ الاقتصادي للدولة العباسية في العصر العباسي الثاني 247- 334ه، أطروحة دكتوراه ، جامعة اليرموك ، الأردن ، 2016، ص 112 .

([2]) أبو الفضل جعفر بن علي الدمشقي ، الإشارة الى محاسن التجارة ومعرفة الاعراض ورديئها وغشوش المدلسين فيها ، الف باء للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1983 ،ص 94 ؛ عبد العزيز الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ،ط3 ، 1995 ، ص 88 .

([3]) فايزة حجازي ، اهل المهن والحرف في بغداد في العصر البويهي ، مجلة المنارة ، مجلد 22 ، العدد 1 ، 2016 ، ص 212- 213 .

([4]). landtman ,the organ of lnequality social class ,London , 1938 , p,81

([5])وديعة طه النجم ، الجاحظ والحاضرة العباسية ، ببغداد ، مطبعة الارشاد ،1965 ، ص 51 ؛ الاء احمد إبراهيم ، رؤية الجاحظ للأوضاع الاقتصادية للعراق 132-255ه/749-868م دراسة في مؤلفاته ، أطروحة دكتوراه ، العراق ، جامعة الموصل ، 2011 ، ص163 .

([6])الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص 90 ؛ المطيري ، التاريخ الاقتصادي ، ص 136 .

([7]) س . د . جواتياين ، دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية ، تعريب وتحقيق عطية القوصي ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، د.ت ، ص163 .

الظاهرة بدات بالظهور الواسع في المجتمع الإسلامي مصاحبة للتقدم المادي والفكري للفعاليات المدنية ، وبالطبع انها بلغت مرحلة عالية من النضوج في الحاضرة العباسية ويبدو مدى هذا التخصص واضحا في عدد من الحرف والمهن ومدى المهارة فيها . ([8])

في العادة يعمل كل حرفي او مهني لحسابه الخاص لوحده او مع اسرته الا اننا نجد حالة من التكافل الاجتماعي والتضامن في العمل في حكاية ابي قير عندما عزم أبو قير وأبو صير على السفر لاكتساب المعيشة في الغربة" قال أبو قير لأبو صير : يا جاري نحن صرنا اخوين لأفرق بيننا فينبغي ان نقرا الفاتحة على ان عمالنا يكتسب ويطعم بطالنا ، مهما فضل نضعه في صندوق ، فاذا رجعنا الى الإسكندرية نقسمه بيينا بالحق والانصاف . قال أبو صير: وهو كذلك وقرا الفاتحة على ان العمال يكتسب ويطعم البطال " ([9])

عادة ما يؤدي بعض الحرفيين والمهنين عملهم بشكل جماعي ويوازعون نتاج العمل بالتساوي كما ورد في حكاية حاسب كريم الدين ([10]) كان الحطابون يتوازعون العمل كل يوم ويخرجون للاحتطاب يأخذ كل حطاب حمارا وفاسا وحبلا فيحتطب الجميع ويكون ثمن الحطب لهم جميعا ، وعندما وجد حاسب واهو احد الحطابين جبا مليئا بالعسل صاروا يحملون العسل الى المدينة ويبيعونه ويقتسمون ثمنه غير انهم تخوفوا من ان يستأثر حاسب بالعسل لنفسه فدبروا له مكيده وغدروا به ، هنا نجد ان العمل الجماعي لم يخرب العلاقة الاجتماعية بل الخوف من المصلحة الخاصة ، فالعمل الفردي والعمل الجماعي كلا الصنفين كانا سائدين في المجتمع وهذا لايعني ان الانانية الفردية كانت سائدة في ذلك المجتمع فهي حالات تكون متباينة ، ففي حكاية سندباد الى احدى الجزر وهو خالي الوفاض نجده يصف لنا مساعدة الأهالي له ومعاملتهم له وتعاونهم معه " وقد صاروا يتواصون بي ويدلونني على الشجرة التي فيها الثمر الكثير " ([11]) فلم يكن تنافس على الرغم من كل فرد او اسرة تقوم بنفس العمل لوحدها ولصالحها وهذا دليل الترابط والتعاون .

والتنظيم الحرفي والمهني نجده واضحا في الأسواق المتخصصة في الصناعات والحرف الخاصة بها وهذا نجده في حكاية مدينة النحاس نجد وصفا دقيقا لسوق المدينة مقسم حسب البضائع والسلع " سوق عظيم عالي الأبنية لا يخرج بعضها عن بعض الموازين معلقة في الدكاكين والنحاس مصفوف والخانات ملائه من جميع البضائع أربعة أسواق مستقلات دكاكينها مملوئه بالمال سوق الخز وفية الحرير والديباج ...وسوق الصيارف ... وسوق العطارين ...." ([12]) وهذا ما تذكره لنا شهرزاد في حكاية مريم الزنارية عندما تتحدث عن الأسواق التي مر بها نور الدين اثناء تجواله في الإسكندرية سوق النجارين وسوق الفكهانية وسوق الصرافين والعطارين وغيره . ([13]) لكل سوق منها عريف سوق او كبير السوق " كل سوق يختص بنوع من البضائع وهناك شيخ لكل سوق يسمونه كبير السوق او نقيب السوق وفوق الجميع شاه بندر التجار . ([14])

فتنظيم الأسواق على حسب كل سلعة دليل على التنظيم الحاصل في كل حرفة نفسها ومراحل تطورها .

([8]) وديعة طه النجم ، الجاحظ والحاضرة العباسية ، ص 44 ؛ الاء احمد إبراهيم ، رؤية الجاحظ للأوضاع الاقتصادية ، ص 156 .

([9]) الف ليلة وليلة ، 251/4 .
([10]) الف ليلة وليلة ، 2 / 383 .
([11]) الف ليلة وليلة ، 36/3 .
([12]) الف ليلة وليلة ، 61/1-62 .
([13]) الف ليلة وليلة ، 139/4 .
([14]) الف ليلة وليلة ، 2/ 81 .

وفي التنظيم الحرفي والمهني ايضا نجدهم منظمين بشكل فيما يشبه النقابة او الجمعية الحرفية او المهنية وقد عرف الباحثون المحدثون التنظيمات الحرفية تعريفات متنوعة على انها مؤسسة نقابية تقوم بتنظيم الحرفة وحفظ اسرارها . ([15]) ويعرفها فلورتس بترسون (ان جمعيات ارباب المهن والعمال في العصور الوسطى عبارة عن طائفة من الصناع اتحدوا سوية من اجل بلوغ غاياتهم من الحماية المشتركة والتحكم بالسوق المحلية) ([16])

وفي حكاية ابي قير تذكر لنا شهرزاد عدد الصباغين ودور شيخ الصباغين في تعليم مهنة الصباغة الى غيره والالمام بالمهنة " قال ابي قير الصباغ : اعلم اني صباغ واعرف ان اصبغ سائر الألوان ومرادي ان تخدمني عندك بالأجرة وانا اعلمك جميع الألوان لأجل ان تفتخر بها على كل طائفة من الصباغين " وفي تكملة النص نجد التشدد كان سائدا بين كل طائفة او مهنه وانغلاقها على نفسها من المحتمل ان يكون السبب هو لإتقان العمل بصورة جيدة والتدرج بالمهنة والحرفة من اجير ومعلم وشيخ "فقال له نحن لانقبل غريبا يدخل في صنعتنا ابدا فقال له واذا فتحت لي مصبغة وحدي فقال له لا يمكنك ذلك ابدا فتركه وتوجه الى الثاني فقال له كما قال له الأول ولم يزل ينتقل من صباغ الى صباغ حتى طاف على الأربعين معلما فلم يقبلوه لا اجيرا ولا معلما فتوجه الى شيخ الصباغين واخبره فقال له نحن لانقبل غريبا يدخل في صنعتنا " ([17]) فلم يكن الدخول بالحرفة بالهين لاي شخص كان ولم تكن مفتوحة دون قيد او شرط لكن ليس بالمبالغة التي رأيناها في حكاية ابي قير الذي دخل الى مهنة الصباغة واصبح معلما ذائع الصيت بأمر من الملك نفسه الذ قدم له العون . ([18])

وفي حكاية عمر النعمان تشير شهرزاد الى ان كل مهنة كان يراسها شيخ او عريف يمكن ان يعينه السلطان نفسه عندما طلب الوقاد ان يصبح عريف الوقادين " تمن ما اردت فقال له تمنيت عليك ان تكتب لي مرسوما بعرافة جميع الوقادين الذين في مدينة القدس .... أتمنى عليك ان تجعلني رئيس الزبالين في القدس .. " ([19])

1 -توارث المهنة :

شهدت المدن العباسية توسعا سكانيا ملحوظا نتيجة للنمو الحضري والتطور الاقتصادي، وبرز ضمن هذا المشهد الحضاري جمهور واسع من أصحاب الحرف والعمال والصناع الذين شكلوا قاعدة عريضة من المجتمع الحضري. وقد تم تنظيم هذه الفئة ضمن نظام النقابات الحرفية الذي كان يعنى بشؤون كل حرفة أو مهنة. ([20]) ان ظاهرة التخصص في الصناعات تبرز في الكثير من المهن والحرف ولعل هذا متأتيا من كون كثير من المهن أصبحت مزاولتها وراثية واصبح كثير من الصناع يفضل حرفته على جميع الحرف ويرغب ان يمتهنها أولاده. ([21])

من المتعارف عليه ان المهن عادة ما تكون متوارثة كل صانع يفضل حرفته على بقية الحرف ويميزها وفي العصر العباسي اشتهرت الدولة العباسية بقوة صناعاتها وتنوعها بسبب التنوع الحضاري والترف الذي تمتعت به الدولة كانت مصنوعاته الأساسية تقسم الى نوعين مصنوعات الترف التي يستعملها الأغنياء وأدوات الناس

([15]) massignon,louis , Islamic guilds, encyclopedia of social science(newyork) .1954.vol7,p215 ( )

([16]) النقابات العمالية ، ترجمة اميل خليل بيدس ، بيروت ، ص6 ؛ صباح إبراهيم سعيد الشيخلي ، الأصناف والمهن في العصر العباسي نشاتها وتطورها ،بيت الوراق ، بغداد ، ص 74 .

([17]) الف ليلة وليلة ، 186/4 .

([18]) الف ليلة وليلة ، 187/4-188 .

([19]) الف ليلة وليلة ، 353/1 .

([20]) ضمياء موسى زيدان سمران ، الرفاه الاقتصادي في العصر العباسي الأول ومظاهره الحضارية ، مجلة الملوية للدراسات الاثارية والتاريخية ، المجلد 12 ، العدد 41 ، 2025 ، ص 493 .

([21]) عبد الرحمن بن محمد الحضرمي ابن خلدون ، المقدمة ،جامعة أكسفورد ،1858 ص 317 ؛ عواد مجيد الاعظمي ، دراسات في تاريخ الاقتصاد العربي الإسلامي ، وزارة التعليم ، بغداد ، 1988 ، ص 85 .

العامة التي كانت محدودة التجارة مثل بعض أدوات حياكة القطن وبعض الصناعات النحاسية وعمل الأحذية. ([22]) وفي شرف الصنايع وصف بان من لا يتعلم الصناعة (لكبر في نفسه مثل أولاد الملوك ... و (من) لا يتعلم لا يعمل لزهده وورعه ورضاه بقليل من أمور الدنيا واقباله على طلب الاخرة مثل الأنبياء عليهم السلام ومن يقتدي بهم ... (ومن ... لا يعمل ولا يتعلم لكسله وثقل طبيعته عن الحركة ويرضى بالذل والهوان في طلب معاشه كالمكدين والسؤال ([23]) ولعل اخوان الصفا اول من قدر الصناع تقديرا عالميا حيث اعتبروا الناس كلهم (صناعا وتجارا) سواء كانوا اغنياء او فقراء ([24]) هذا واكد ابن خلدون ان الأساس الذي يقيم بموجبه الشخص في المجتمع هو قدرته على الكسب ([25])

وفي توارث المهنة والحرفة في المجتمع الدني لمجتمع شهرزاد نجد في احدى القصص في حكاية الخياط والاحدب :(كان والدي سمسارا فلما بلغت مبلغ الرجال توفي والدي فعملت سمسارا مكانه) ([26]) وفي حكاية معروف الاسكافي يجري الحديث عن رجل عطار هو وأولاده مصطفى ومحمد وعلي هنا نجد انه ليس بالضرورة ان يرث كل الأبناء مهنة ابيهم نفسها يكفي ان يتوارثها واحدا منهم والبقية يعملون في مهن وحرف مختلفة (اما مصطفى فانه طيب وهو عالم مدرس ، واما محمد فانه عطار قد فتح له دكانا بجانب دكان ابيه) ([27])

وفي العديد منم النصوص نجد أبناء اخرين لم يتوارثوا مهنة ابيهم أولاد تجار اصبحوا حرفيين او العكس فقد كان أبو جودر الصياد تاجرا ، وكذلك والد حسن الصائغ واخيه النحاس ووالد مزين بغداد واخوته الحرفيين والمعدمين في حين دائما يكون اباء التجار تجار بل وحتى وزراء

الان ان هذا يوجه نظرنا الى نقطة مهمه وهي ان بدايات تلك الحكايات التي تتحدث عن الحرفيين والصنايعية قد تحورت لتجعل ابائهم تجارا لان على الاغلب المستمعين من الوسط التجاري . ([28])

2 - الحرف والتوزيع البيئي بين الريف والمدينة :

تنوعت الحرف والصناعات بين الريف والمدينة مع وجود الاختلافات بطبيعة هذه الحرف ففي الريف نجد الحرف الزراعية من حراثة وزراعة وجني المحاصيل والحرف المساندة من كصناعة الأدوات الزراعية والحرف الاخرى كالنسيج والغزل اليدوي واستخراج الزيوت وعصر الزيتون وغيرها .

اما الحرف في المدينة تكون على درجة اعلى من التخصص وتقسيم العمل ومع ان الحرفة كانت متمركزة في المدينة فثمة ما ينبئ في الف ليلة وليلة عن انتشار بعض الحرف في الريف على نطاق ضيق على العكس من المدن وهذا ما نجده في حكاية تتعلق بالطيور :" ان حائكا كان في بعض القرى وكان يعمل فلا ينال القوت الا بجهد " ([29]) يؤخذ من هذه القصة ان الحرفة كعمل مستقل كانت موجودة في الريف وهذا يعبر فعلا عن الواقع

([22])المطيري ، التاريخ الاقتصادي ، ص 112 .
([23])عبد العزيز الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري ، دار المشرق ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، 1974 ، ص100 .نقلا عن اخوان الصفا ، رسائل اخوان الصفا ، نشرها الزركلي ، 4 مجلدات ، القاهرة ، 1928 ، ونشر دار دار صادر ودار بيروت ، 1957 ، 222/1
([24])اخوان الصفا ، رسائل ، 258/1 .
([25]) عبد الرحمن بن محمد الحضرمي ابن خلدون ، المقدمة ،جامعة أكسفورد ،1858 ، 289/2.
([26])الف ليلة وليلة ، 98/1 .
([27])الف ليلة وليلة ، 4/ 373 .
([28])بو علي ياسين ، خير الزاد من حكايات شهرزاد ، دار المدى للثقافة والنشر ،بغداد ، 2010 ، ص528 .
([29]) الف ليلة وليلة 1/ 414 .

التاريخي وجدت هذه الحرف كالحائك والمزين والبناء والنجار والاسكافي في الأرياف ولكن بشكل محدود على العكس من المدن اما في الوقت الحاضر اصبح الريف يستقدم الحرفيين من المدينة اذا احتاج الى عملهم لديه .

وثمة إشارة أخرى الى الحرف المنزلية في القرى في احدى قصص كيد النساء حيث تقول زوجة السياف :" كنت فوق السطح اغزل " ([30]) وفي حكاية عمر النعمان عن اخت بشر الحافي انها كانت تغزل على السطح في الليل ([31])

وحرفة الغزل كانت موجودة في مجتمع شهرزاد ولازالت في مدننا واريافنا وهي غالبا حرف نسائية محددة مغايرة للموجودة في السوق ومن الحرف المنزلية شغل الصنارة والغزل صنع النشاء والبرغل والزبيب والخل والعرق والنبيذ وغيرها من المأكولات التي تحفظ مؤونة للشتاء . ([32])

المستوى المعاشي والتفاوت الطبقي للحرفيين والصنايعية :

طبيعة الحرفة وقيمتها الاجتماعية :

أن الوضع الاقتصادي لهذه الفئة لم يكن مميز ، إذ لم يخرجوا عن إطار الفئات الكادحة، فكانوا في أحوالهم المعيشية أقرب إلى العامة من الفالحين من حيث محدودية الدخل والاعتماد على الجهد اليدوي اليومي، دون وجود مصادر مستقرة أو ممتلكات تؤمن لهم رفاها مستداما ([33]) ويعكس هذا التفاوت في المستوى المعيشي بين فئات المجتمع العباسي أن مظاهر الرفاه الاقتصادي لم تكن موزعة بالتساوي، إذ حظيت الفئات العليا والعلمية بامتيازات مالية وثقافية، بينما ظلت الفئات المهنية والحرفية تعيش على هامش الاكتفاء الاقتصادي، رغم إسهامها الحيوي في دورة الانتاج الحضرية . ([34])

في كل مجتمع هناك دائما التفاوت الطبقي والمستوى المعيشي يعود ذلك الى طبيعة العمل الذي يمتهنه الحرفيين ومدى المردود المادي اليومي او الاسبوعي والشهري .

يتجلى التفاوت الطبقي والمستوى المعيشي بين أصحاب الحرف والصنايعية في مجتمع الف ليلة وليلة (مجتمع شهرزاد) بشكل واضح جدا وهذا واضح جدا من حيث يمكننا تقسيم المستوى المعيشي حسب طبقات المجتمع الإسلامي في العصر العباسي في بغداد وفي مصر المملوكية .

1 – طبقة الأغنياء من الخلفاء والسلاطين وكبار التجار ومن الحرفيين الأغنياء الذين ورد ذكرهم يبرز المعلم عبيد في حكاية التاجر قمر الزمان ، عندما كان المعلم عبيد شيخ الجوهرية في البصرة كان خبيرا بالصنعة ولديه أموال لا تأكلها النيران " كان عنده عدة في بيته مثل العدة التي في الدكان ، وكان من عادته اذا أراد ان يصنع شيئا غريبا يشتغله في بيته " هذا بسبب انه لا يريد ان يتعلم الصناع الصنعة منه " حتى ان الصناع لا يتعلمون منه الصنعة الغريبة " ([35])

وهذه الحرفة الغريبة هي مصدر غناه لأنها تداعمت بعادة الحفاظ على سر المهنة او الصنعة وهي عادة معروفة في المجتمعات الحرفية والمهنية .

([30]) الف ليلة وليلة 73/3 .
([31]) الف ليلة وليلة 252/1 .
([32]) بو علي ياسين ، خير الزاد من حكايات شهرزاد ، دار مدى للنشر والثقافة ، سورية ، 2010 ، ص 529 .
([33]) سعيد عبد الفتاح عاشور ، المدينة الإسلامية ، ط2 ، مكتبة الانجلو ، القاهرة ، 1982 ، ص 43 .
([34])سمران ، الرفاه الاقتصادي ، ص 493 .
([35])الف ليلة وليلة ، 4 / 320 .

وقد يكون سبب غنى الحرفي او المهني هو التجديد والابداع في المهنة نفسها امثلة على ذلك عندا انشا ابي صير حماما عاما في مدينة لم تكن تعرف الحمامات العامة وصباغة ابي قير بالوان متعددة في مدينة لا تعرف سابقا غير الصباغ الأزرق " لان بلادنا ما فيها صباغون يعرفون صبغ هذه الألوان " ([36]) ، وصناعة السندباد للسروج في بلد كان يركب الخيل دون اسرجه ، وهناك سبب اخر في غنى بعض الحرفيين وذلك بسبب احتكارهم للسوق ففي حكاية ابي صير وابي قير ينال الصباغ في مدينته اجرة صبغ محرمة عشرين درهما في حين ان الأجرة في الإسكندرية درهمان فقط وقد ارتفع السعر عشرة اضعاف لان مهنة الصباغة في تلك المدينة كانت منظمة احتكاريا ، وابي صير كان يفرض الأجرة التي يريد على كل من يدخل الحمام لان الحمام الوحيد في المدينة ([37])

فضلا عن هذه الأمثلة فقد كان أصحاب المهن العلمية والتقنية الضرورية ينعمون بدخل عال مثل مهنة الطبيب فيستأثر بخدماتهم أصحاب السلطة كالحاكم وأصحاب الأموال ، فالملك يونان اعطى الحكيم رويان بعد ان شفي من المرض على يده الفي دينار غير الخلع والهدايا وعزم على ان يتخذه جليسا وانيسا مدى الزمان . ([38]) فهنا نجد المهنيون والحرفيون اللذين يؤدون خدمات للسلطان ينعمون بدخل وافر .

2- الطبقة الوسطى والفقيرة من أصحاب الحرف والمهن : وهو ماورد ذكرهم في اغلب الحكايات مثل الحطابون والصباغين والتجار والصيارفة والعطارين والحدادين وغيرهم من أصحاب المهن اللذين يندرجون تحت مستوى الفقر ، ومن امثلة الحرفين والمهنين في مجتمع شهرزاد كثيرة منها ،عندما أراد الاعجمي ان يعلم حسن الصائغ البصري ان يعلمه صنعة " قد سمحت نفسي ان اعلمك إياها واجعلك ولدي ،واجعل بينك وبين الفقراء حجابا ، وتستريح من هذه الصنعة والتعب في المطرقة والفحم والنار " ([39]) نجد ان الصنعة كان لها دور في راحة الصانع وتوفير الدخل الجيد وبقائهم في الحرفة كما في حكاية ابا صير المزين وابي قير فلم يتركا مدينتاهما ويهاجرا الا لكساد صنعتهما كذلك الحال مع معروف الاسكافي كانت تأتيه أيام لا يشتغل بثمن الخبز ([40]) وعند الحديث عن شقاء بعض أصحاب المهن ففي حكاية انيس الجليس نجد شقاء صيادي السمك فالحكاية تصف كريم الصياد " كانت عليه جبه فيها مئة رقعة من الصوف الخشن وفيها من القمل الذي له اذناب ومن البراغيث ما يكاد يسير بها على وجه الأرض .. وعلى راسه عمامة كان له ثلاث سنين ماحلها ، وانما كان اذا رأى خرقة لفها عليها " ([41]) .

ومن دلائل الفقر والعوز لإصحاب المهن المتوسطة في حكاية محمد علي ان الجوهري خاطر بحياته من اجل دينارين ([42])

كما بينت حكاية الصياد جودر انه كان يعمل بعشرة من النقود ويوما بعشرين ويوما بثلاثين في حين ان الأسعار كانت مرتفعة فثمن الخبز اليومي عشرة وثمن اللحمة والخضار عشرة أخرى . ([43])

([36]) الف ليلة وليلة ، 4 / 256 .
([37])الف ليلة وليلة ، 4 / 257 .
([38])الف ليلة وليلة ، 1 / 17-18 .
([39])الف ليلة وليلة ، 3 /380 .
([40])الف ليلة وليلة ، 396/4 .
([41])الف ليلة وليلة ، 156/1 .
([42])الف ليلة وليلة ، 2 / 132 .
([43]) الف ليلة وليلة ، 3 / 113،122 .

والحطابون اضا يصنفون تحت الطبقة الفقيرة بحيث ان من لا يجد عملا يعتاش منه يلجا الى الاحتطاب كما حدث لحاسب كريم الدين فهو لم يتعلم صنعة فبكت امه فاخبرها جيرانها الحطابون بان تشتري له حبلا وحمارا وان يأتي معهم " اشتر لابنك حمارا وحبلا ويروح معنا الى الجبل فنحتطب نحن واياه .." ([44])

وفي الاحتطاب أيضا إشارة الى العمل والكسب من خلالها ففي حكاية الحمال مع البنات يسال الخياط الصعلوك الثاني : اما تعرف صنعة تكتسب بها ؟ فقال له : اني فقيه طالب علم كاتب حاسب .فقال : ان صنعتك في بلادنا كاسدة ، وليس في مدينتنا من يعرف علما ولا كتابة غير المال .. ثم يقول له : شد وسطك وخذ فاسا وحبلا واحتطب من البرية حطبا تتقوت به .ثم خرج الصعلوك الثاني الى الاحتطاب فأتى بحمل على راسه فباعه بنصف دينار ([45]) وهذا مبلغ كبير لما ورد في الحكاية عن الاحتطاب والعمل به .وفي حكاية عمر النعمان ([46]) مثال اخر عن العمال واجورهم ومستواهم المعيشي فكان الوقاد يؤمن الوقود للحمام من الزبل وينال اجرا مقداره خمسة دراهم كل يوم ومن مقارنة هذا اللاجر مع أسعار المواد يتبين اجر الوقاد كان جيدا نسبيا اذ انه كان يشتري لضيفه المريض كل يوم " بدرهم سكر وماء ورد وشراب بنفسج ويشتري له بدرهم فراريج " .

كما يعد الحمالون والسقاؤون من أصحاب الحرف والمهن الفقيرة أيضا ففي حكاية السندباد وصف لحال الحمال ومناجاته لنفسه ونومه في باب القصر ([47]) اكبر دليل على شقاء هذه الفئة وفي حكاية الحمال مع البنات عندما يخبرنا الحمال عن أجرته بحمل قفص مليء بالمواد الاستهلاكية والتنقل به لوقت طويل ، فيقول انها " نصفان " ([48]) وهذ مبلغ قليل جدا حتى انه لا يكفي لشراء خبز لفرد واحد في وجبة .

ومن الحرف اليدوية الشاقة منخفضة الدخل مهنة السقاء الذي جار عليه الزمان فلم يجد الا مهنة السقاية " فاخذ اساور زوجته واتى اليهودي وقال له : اعطني ثمن هذه الاساور حمارا . فقال اليهودي : تحمل عليه أي شيء ؟ فقال له :يا معلم ، املاء عليه ماء من البحر واقتات من ثمنه " ([49]) فهي عمل شاق ذات دخل متدني مقارنة بالمهن الأخرى .

: التغير الطبقي

إحدى السمات البارزة والتي نجدها في "ألف ليلة وليلة" عند تتبعنا لأرباب الحرف والصنايع هي فكرة تقلب الحظ والثروة والتغيير الطبقي الحاصل ، فالشخص الفقير يمكن أن يصبح غنيًا بين عشية وضحاها (وعكس ذلك أيضًا) ، مما يخلق حركة اجتماعية وهمية في روايات من وحي الخيال لكنها تلبي حلم المتلقي المستمع والقارئ .

ومن اشكال التقلب الطبقي او الصعود المفاجئ من الفقر الى الثراء هو:

1 - اكتشاف الكنوز والثروات الخارقة :

ففي حكاية الصياد الفقير الذي يجد قارورة يخرجها من البحر فيسجن فيها مارد او جني فيمنحه ثروة طائلة واسماك ملونة ليهديها للسلطان ([50]) .

([44]) الف ليلة وليلة، 2 /382-383 .
([45]) الف ليلة وليلة ، 45/1 .
([46])الف ليلة وليلة ، 214/1 .
([47])الف ليلة وليلة، 3-2/3 .
([48])الف ليلة وليلة ، 33/1 .
([49]) الف ليلة وليلة، 272/3 .
([50]) الف ليلة وليلة ، 1 / 14 .

وكذا الحال في حكاية التاجر والعفريت عندما تبدا الحكاية بتاجر كثير الأموال ([51])وكذا الحال مع قصة الحمال والبنات الذي يدخل عالم الرفاهية والثراء الذي يفوق واقعه المعتاد ([52])

2- التقرب من السلطة :

القرب من قصر الخليفة أو السلطان هو مصدر رئيسي للثروة والنفوذ. التاجر أو الطبيب الذي تصل خدماته للنخبة يكتسب مكانة وثروة تفوق بكثير من يمارس نفس المهنة لخدمة العامة. في قصة "النديم الثرثار" (في الليالي) نرى كيف يمكن لشخص من العامة أن يدخل القصر ويصبح من المقربين، لكن مكانته تظل هشة وقابلة للزوال في أي لحظة . ([53])

.3- فقدان الثروة بالإسراف أو سوء الحظ :

يعد موضوع فقدان الثروة بسبب الاسراف او سوء الحظ وسوء التصرف من المواضيع المهمة والتي تكرر ذكرها في حكايات الف ليلة وليلة كثيرا ، فالحكايات كثيرا ماتعمل كدرر وعظية تحذر من عواقب التبذير وسوء التصرف لابصورة مباشرة بل عن طريق دمجها بسياق الاحداث المثيرة للحكايات ، مثال على سوء التصرف ففي حكاية التاجر مع العفريت سوء التصرف لم يكن ماديا بقدر ماكان سوء في الانتباه والمسؤولية عندما اكل التاجر التمر ورمى النوى " واذا هو بعفريت طويل القامة وبيده سيف " ([54]) لان التاجر رمى النوى بدون اكتراث فوقعت على ابن العفريت فقتلته وفي سوء الحظ عندما يفقد هذا التاجر ثروته بالكامل برحلة واحدة ليعود الى نقطة الصفر فالعامل الاقتصادي وتقلب التجارة والاحوال من أسباب التقلب الطبقي في قصة التاجر والعفريت هذه ([55]) وكذا الحال في قصة السندباد البحري وتقلب تجارته ([56])

4- العامل الجغرافي :

تتركز ثروات النخبة في قصور الخليفة وفي الأسواق الرئيسية مثل سوق الصيارفة وسوق الجواهريين. بينما تظهر الأحياء الشعبية وأسواقها المتواضعة (سوق النجاريين، سوق الحدادين) كعالم منفصل يعيش فيه عامة الناس، مما يعكس تفاوتًا مكانيًا واضحًا .

ففي حكاية علي بن بكار مع شمس النهار ([57]) ، نرى أن التاجر "أبو الحسن" كان يسكن البصرة التي كانت مركزاً تجارياً مهماً في تلك الفترة ، لكن البعد عن مركز الخلافة العباسية في بغداد كان يخلق حاجزاً بينه وبين عمله عندما يريد التواصل مع علية القوم في بغداد، يحتاج إلى وساطات ورسائل ورحلات شاقةتاخذ منه وقتا وجهدا هذا البعد الجغرافي يخلق عائقاً أمام توسع ثروته ووصوله إلى دائرة النخبة .

5- البعد الأخلاقي :

كثيرًا ما يكون الصعود من طبقة الفقر والعوز الى الغنى والرقي هو سببا و مكافأة للفضيلة مثل (الصدق، الإخلاص، الشجاعة والإحسان وحسن الاخلاق) والفقر والعوزعقابًا على الرذيلة (الخداع، الطمع، الغرور)مثال

([51])الف ليلة وليلة ، 1 / 8 .
([52])الف ليلة وليلة ، 1 /32 .
([53])الف ليلة وليلة ،225/3 .
([54]) الف ليلة وليلة ،8/1 .
([55])الف ليلة وليلة ، 8/1 .
([56]) الف ليلة وليلة ، 2/3 .
([57])الف ليلة وليلة ، 1 / 415 .

على ذلك في قصة أبو قير الخائن وأبو صير المظلوم نموذج صارخ لهذا الاحداث والتغيير الطبقي الحاصل في حكايات شهرزاد .

وهذا ما نجده في حكاية أبو صير الحلاق الأمين والصبور الذي يكافئ بالثراء والعيش الكريم بعد ان نال حقه من صديقه الخائن ، وكذا الحال فالعقاب على الرذيلة الذي ناله ابي قير يحوله من الغنى الى الفقر وسوء الحال ([58]) .

6- الاحتيال : غالبا ما تتناوله حكايات شهرزاد بشكل قصص الشطار الذين يجمعون بين الاحتيال واللصوصية وهم ينجحون في الوصول الى مبتغاهم ففي حكاية علي الزيبق تقول زينب النصابة لامها دليلة المحتالة : " انظري يا امي هذا احمد الدنف جاء من مصر مطرودا ولعب مناصف في بغداد الى ان تقرب عند الخليفة ، وبقي مقدم الميمنة ؛ وهذا الولد الاقرع حسن شومان صار مقدم الميسرة وله سماط في الغداء وسماط في العشاء ولهما جوامك لكل واحد منهما الف دينار في الشهر ؛ ونحن قاعدون معطلون في هذا البيت لا مقام لنا ولا حرمة وليس لنا من يسال عنا " ([59])

الخاتمة

عد استقراء حكايات ألف ليلة وليلة، توصلت إلى الدراسة الى ان شخصيات أرباب الحرف والصنائع لا تكشف فقط عن خلفية اقتصادية واجتماعية تاريخية ثرية، بل تُظهِر أيضاً رؤية أدبية عميقة لبنية المجتمع وديناميكياته. وفيما يلي أبرز النتائج التي توصل إليها البحث :

1- مثل الحرفيين وأرباب الصنائع في "ليالي الف ليلة وليلة "شريحة حيوية ومتنوعة شكلت العمود الفقري للاقتصاد الحضري في تلك الفترة ، فهم لم يكونوا مجرد شخصيات هامشية، بل كانوا محوراً لأحداث كثيرة، مما يعكس الأهمية الاقتصادية والاجتماعية الحقيقية لهذه الطبقة في المدن الإسلامية خلال العصر الوسيط .

2- أوضحت االدراسة وجود تباين كبير في المستوى المعيشي لأرباب الحرف، وهو ما يعكس واقعهم بدقة .

3- قسمت الحرف والمهن على حسب طبقات المجتمع من طبقة الأغنياء والطبقة المتوسطة والأخيرة من الفقراء والكادحين . فقد مثلت حالات مثل تحول علي بابا من حطاب إلى تاجر ثريا النموذج الأسطوري للصعود الاقتصادي السريع، الذي يبقى حلماً أكثر منه واقعاً، لكنه يعبر عن توق اجتماعي عميق في المقابل، بينما تمتع حرفيون آخرون مثل الخياط والد علاء الدين والتجار أصحاب المحال بحياة مستقرة وكريمة، تكفل لهم سد احتياجاتهم وتوفر لهم هامشاً من الاحترام الاجتماعي ، بينما عانى الكثير من الحرفين مثل الحطابين والحمال (في حكاية الحمال والبنات) وبعض الحرف الفقيرة والمتدنية الدخل من حياة الكدح وعدم الاستقرار المادي، مما يصور الهشاشة الاقتصادية التي كانت تهدد هذه الشريحة .

هؤلاء يعيشون على هامش المجتمع، يكاد دخلهم اليومي يكفيهم للقوت فقط، ويسكنون في مساكن متواضعة جدًا.

4- يمكن القول إن أرباب الحرف والصنائع في ألف ليلة وليلة لم يكونوا مجرد ديكور في خلفية الحكايات، بل كانوا أدوات سردية فعالة لاستكشاف إشكاليات العدالة الاجتماعية والتنوع الطبقي الحاصل في الحكايات من الفقر الى الغنى والعكس ، والهشاشة الاقتصادية، والحلم الإنساني الأزلي بتغيير مصير الافراد حتى وان كان اسطوريا او خياليا.

([58]) الف ليلة وليلة ، 249/4 .
([59])الف ليلة وليلة ، 242/3 .

5- إن دراسة ارباب الحرف والمهن وتتبع احوالهم وحكاياتهم تقدم لنا نافذة لا تقدر بثمن على تاريخ حياة الناس العاديين، وأحلامهم، وتحدياتهم في عالم كان القصر والسوق مسرحين رئيسيين لأحداثه .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

المصادر :

ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد الحضرمي، المقدمة، جامعة أكسفورد، 1858.

إخوان الصفا: رسائل إخوان الصفا، نشرها الزركلي، القاهرة، 1928 .

ألف ليلة وليلة ،دار الكتب العربية الكبرى ،تصحيح الشيخ محمد قطه العدوي ، ط1 ، مطبعة البابي الحلبي ،مصر ،1863 .

الدمشقي : أبو الفضل جعفر بن علي ، الإشارة إلى محاسن التجارة ومعرفة الأعراض وغشوش المدلسين فيها، ألف باء للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1 ، 1983 .

المراجع الحديثة :

الأعظمي : عواد مجيد ، دراسات في تاريخ الاقتصاد العربي الإسلامي، وزارة التعليم، بغداد، 1988.

بترسون : فلورنس ، النقابات العمالية، تاريخها حقيقتها عملها، ترجمة أميل خليل بيدس، المؤسسة الأهلية للطباعة والنشر، بيروت، 1952.

حجازي : فايزة ، أهل المهن والحرف في بغداد في العصر البويهي، مجلة المنارة، مجلد 22، العدد1، 2016 .

جواتياين : س . د . ، دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، تعريب وتحقيق: عطية القوصي، وكالة المطبوعات، الكويت، د.ت .

الدوري : عبد العزيز ، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط2، 1974

سمران : ضمياء موسى زيدان ، الرفاه الاقتصادي في العصر العباسي الأول ومظاهره الحضارية، مجلة الملوية للدراسات الآثارية والتاريخية، المجلد 12، العدد 41، 2025 .

الشيخلي : صباح إبراهيم سعيد ، الأصناف والمهن في العصر العباسي نشأتها وتطورها، بيت الوراق، بغداد، ط1، 2010.

عاشور: سعيد عبد الفتاح ، المدينة الإسلامية، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ط2، 1982.

المطيري : فهد مطر ، التاريخ الاقتصادي للدولة العباسية في العصر العباسي الثاني 247- 334هـ، أطروحة دكتوراه، جامعة اليرموك، الأردن، 2016.

المولى : الاء أحمد إبراهيم ، رؤية الجاحظ للأوضاع الاقتصادية للعراق 132-255هـ/749-868م دراسة في مؤلفاته، أطروحة دكتوراه، العراق، جامعة الموصل.

النجم : وديعة طه ، الجاحظ والحاضرة العباسية، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1965 .

2011

ياسين : بوعلي ، خير الزاد من حكايات شهرزاد، دار المدى للثقافة والنشر، بغداد،2010 .

landtman ,the organ of lnequality social class ,London , 1938

massignon,louis , Islamic guilds, encyclopedia of social science(newyork ,1954.vol7.